

رَأْيَاتُنَا
كُرَيْسِيَّتِي

عِيْنَةٌ مِّنَ الرِّوَايَةِ
(لِلتَّصْفِيحِ وَالإِطْلَاعِ)

إِبْرَاهِيمَ الْحِذَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أغاثا كريستي

إبزيم الحذاء

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٤٠

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسون



الأجبال
للترجمة
والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٤٠ بعنوان

One, Two, Buckle My Shoe

Copyright Agatha Christie Mallowan 1940

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الخامسة

٢٠٢٠

مقدّمة الناشر

لماذا هذه الطبعة؟

عندما أعلنّا -في مؤسسة الأجيال للترجمة والنشر- عن عزمنا على تقديم ترجمة جديدة لأعمال الروائية الفدّة، أغاثا كريستي، تساءل كثيرون باستغراب: لماذا تُجهدون أنفسكم وتتكلفون كثيراً من الجهد والعناء وكثيراً من المال لإعادة ترجمة هذه الروايات التي تُرجمت إلى اللغة العربية من قديم وتداولها الناس لعشرات السنين؟

ولكن الحقيقة (التي ربما بدت غريبة) أن الترجمة القديمة ذاتها هي الجواب عن هذا السؤال، إذ إن فيها من الأخطاء والنقائص ما لا يصلح معه الحال أو يستقيم بغير إعادة الترجمة وإعداد طبعة جديدة. وأول تلك النقائص (وإن بدت غير ذات أهمية للقارئ العربي ظاهراً) أن أياً من الترجمات القديمة لم تكن «شرعية» بالمعنى القانوني، أي أن الذين نفّذوها ونشروها لم يحصلوا على الإذن بطباعتها ولم يدفعوا شيئاً مقابل حقوق النشر، ومن ثمّ لم يهتموا بتجويدها أو إتقانها بقدر ما اهتموا بالربح العاجل والكسب السريع.

من هنا جاءت تلك الطبعات القديمة حافلة بالعيوب، حتى لا يكاد يصحُّ لمن قرأها أن يقول إنه -فعلاً- قرأ شيئاً من كتابات أغاثا كريستي. وإليكم جملة من تلك العيوب:

(١) في الترجمة نقص واسع وحذف كثير، يكاد يذهب -في بعض الأحيان- بثلاث النص الأصلي. وما ندري ما الذي حمل المترجمين الأوائل على اقتراف هذا الخطأ المتعمد: أهو لتقليص حجم الروايات وتوفير نفقات الطباعة على الناشر، أم لتيسير القراءة على القارئ حتى لا يَمَلَّ من قراءة رواية طويلة؟ ولكنَّ مَنْ قال إن قراءة ما حُذف يبعث على الملل؟ الحقيقة أن ما وقع من حذف وتقليص واختصار قد أربك القارئ إذ غيَّب عنه بعض التفاصيل المهمة، كما فوّت عليه الاستمتاع بكثير من «اللمسات الساحرة» من الأدب الفذِّ لأغاثا كريستي.

(٢) في الترجمات القديمة أخطاء كثيرة لأنها -بجملتها- نتاج عمل فردي متسرع هدفه الربح العاجل كما أسلفنا، وهذه الأخطاء (وكثيرٌ منها ساذج مضحك) أفسدت استمتاع القارئ بمتابعة القصة وكانت -أحياناً- عقبةً في طريق فهمه لحبكة الأحداث وعقدة الرواية.

(٣) فضلاً عن أخطاء الترجمة، حفلت تلك الطبعات القديمة بما لا يكاد يُحصى من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية وجاءت على غير نسقٍ في طبيعة ترجمتها وأسلوب كتابتها، حتى لتجد أن اسمي بطلي أغاثا الشهيرين، هيركيول بوارو والكابتن هيسْتِنغز، قد كُتبا بأشكال متنوعة وصور متباينة خلال الروايات،

وكانهما مجموعة من الأشخاص المختلفين!

(٤) أما الطباعة فمأساة لا تقلّ حجماً عن مأساة الترجمة وتكاد تنافسها في السوء والرداءة! امتلأت الروايات بالأخطاء المطبعية التي لم يحفل بتصحيحها أحد، وصُفّت أسوأ صف ثم طُبعت على أسوأ ورق. وما زال أولئك «الناشرون...» يصوّرون طبعة عن طبعة حتى صارت مقاطع كاملةً منها مطموسةً مستعصيةً على القراءة لا تكاد تبين حروفها وألفاظها.

(٥) ثم اجتهد «الناشرون...» فوضعوا لهذه الروايات أغلفة يظنّ معها من يراها أنها ليست سوى قصص فاضحة ماجنة، فكان أن أعرض عنها كثير من الناس الذين ظنوا أن صور أغلفتها تعبّر عن محتواها، وزهد في هذا الأدب الرفيع كثيرٌ من المتأدبين.

(٦) وأباح هؤلاء «المترجمون...» لأنفسهم أن يتدخلوا في عناوين الروايات وتبويبها وترتيبها، فمسخوا العناوين الأصلية واستبدلوا بها ما ظنّوه أكثر إثارة أو أدعى لجذب القراء. واعتدوا على تبويب الروايات فأدخلوا بعض فصولها في بعض، وعلى ترتيب مجموعات القصص القصيرة فبعثوا ما كان منتظماً وشتتوا ما كان مجتمعاً. كل ذلك بغير سبب واضح ولا تعليل مفهوم.

(٧) وأخيراً، كان العدوان الأكبر على أغاثة كريستي بأن نحلوا لها ما ليس -أصلاً- من كتابتها. وذلك أن الناشرين لما رأوا إقبال الناس على ما حمل اسمها قد طمعوا في مزيد من البيع ومزيد من الربح، فجاؤوا بروايات لا يُعرَف مؤلفوها فألحقوها بها ونسبوا إليها، حتى بلغ ما نُشر في السوق باسمها مئة وبضع

عشرة رواية، رغم أن كل ما كتبته من روايات بوليسية (وهي لها كتابات أخرى لم تُترجم بعدُ إلى العربية، كما سيأتي في ترجمتها الموجزة) ليست سوى ثمانين رواية لا غير!

* * *

فما الذي فعلناه نحن؟

اتصلنا بأصحاب الحقوق (ورثة المؤلف) ففقدنا معهم اتفاقاً ووقعنا عقداً ينصّ على الحقّ الحصري لنا بالطبعة العربية عبر العالم، ودفعنا مبلغاً كبيراً من المال مقابل هذا الاتفاق. بعد ذلك بدأنا بمشوار الترجمة الطويل الذي استغرق أكثر من عشر سنوات من العمل الشاق الدؤوب، المتعب والممتع في آنٍ معاً، ونفدنا العمل بالأسلوب التالي:

(١) الترجمة على مرحلتين: يُترجم العمل -أولاً- بالكامل، ثم يُراجع مراجعة كاملة شاملة وكأنه ترجمة جديدة يقوم بها مترجم آخر. وكلا العاملين تولاه مترجمون محترفون أصحاب خبرة وكفاية ودراية واسعة باللغتين، العربية والإنكليزية.

(٢) التحرير: وفي هذه المرحلة أُخضعت الترجمات لمراجعة كاملة دقيقة لكل نص مترجم؛ أسلوبياً ولغوياً ونحوياً وإملائياً، مع العناية بالتفكير والترقيم (وضع العلامات من نقطة وفاصلة وسواهما). وتولّى هذا العملَ واحدٌ من أفضل المختصين في هذا المجال.

(٣) الصفّ والإخراج: وقد نفدَّ هذا العمل لدى أفضل

مراكز الصف، وبُذِل في الإخراج من الجهد غايته ليأتي على أفضل شكل ممكن. وكان أن وقع الاختيار على قَطْع الكتاب بالشكل الذي يجده القارئ بين يديه بعد استقراء لميول كثير من القراء وُجد فيه أن الغالبية منهم يفضلون -للروايات- هذا الحجم مقابل الحجم الكبير للكتب العلمية وكتب التراث.

(٤) ثم كانت المراجعةُ بعد المراجعة للنص النهائي المصنوف للتأكد من سلامته من أي خطأ أو سهو. كل ذلك ابتغاء الوصول إلى غاية الاتقان والحصول على أفضل عمل ممكن يطيقه الجهد البشري.

* * *

نعم، نحن لم نحقق كتباً عظيمة من كتب العلم ولم نترجم أعظم روائع الأدب العالمي، ولكن المرء مطالبٌ -إذا عمل- بأن يتقن عمله؛ تلك واحدة من وصايا الشرع. ثم إن في أدب أغانا كريستي من الجمال والرقّي ما يستحق السعي إلى مثله -إذ يُترجم- في النص المُعرَّب.

وأخيراً، فإن القارئ العربي الذي سيدفع قيمة هذه الكتب مالاً من جيبه ثم يصرف لقراءتها ساعات من وقته جديراً بالحصول على الأفضل. وهذا هو بالذات ما سعينا إليه في نهاية المطاف. فهل وُفقنا؟ نرجو أن نكون، وأنت -عزيزنا القارئ- خيرُ حَكَم.

الأجيال

منهجنا في التحرير

أردنا لهذه الطبعة أن تخرج متميزةً في سلامة لغتها وصحة صياغتها وقوة أسلوبها، فبذلنا في تحريرها غاية الجهد وأقصى الاهتمام، واضطررنا -في سبيل ذلك- إلى مراجعة المادة المترجمة مرةً بعد مرة، غيرَ عابئين بما نصرفه من وقت أو نبذله من طاقة، حتى وصلنا إلى ما نحسبه عملاً مقبولاً يرضى عنه القارئ ويُرضينا نحن عن أنفسنا.

وقد أحببنا أن نضع بين يدي القارئ هذه الملاحظات حول الأسلوب الذي اتبعناه في المراجعة والتحرير:

ففي اللغة: نَهَجْنَا اعْتِمَادَ الفصاحة بلا تكلّف، فاعتمدنا من الألفاظ الدائرة على ألسنة الناس ما وافق العربية، وتجنبنا كل لفظ غريب. وفي هذا المقام كرّسنا ما اعتمده مجمع اللغة العربية ووافق عليه مما ورد في معجمه «الوسيط»، مثل «السَّلْطَة» و«الكُشْكُ»، ومثل قولهم: «سَرَّحَ العامل» (بمعنى أخلاه وصرّفه من عمله) و«أشَرَّ على الكتاب» (أي وضع عليه إشارة برأيه)، ومثل هذا كثير.

وقد تنبّهنا إلى بعض المفردات مما يُخَلَطُ فيه بين المذكور

والمؤنث والمفرد والجمع، «فالمستشفى» مذكّر يُؤنّث خطأً، و«الحماس» بالتذكير لفظ غير موجود في اللغة، بل هي «الحماسة» بالتأنيث، والرأس مذكّر لا يجوز تأنيثه (كما يشيع في الكتابات المصرية خاصة).

وكذلك تنبّهنا إلى بعض ما درج على الألسنة والأفلام من مفردات غير صحيحة، فأبدلنا بها ما صحّ وسُمِعَ عن العرب في هذا المقام، مثل قولهم: «خصيصاً» والصواب «خصوصاً»، و«جاؤوا سوياً» والصواب «جاؤوا معاً» لأن «سوياً» تعني الاستواء والعدل (كقولك: قسمت المال بينهم بالسوية)، و«المجوهرات»، وهو جمع غريب لم يُسمَع، والصحيح «الجواهر»، ومثل ذلك كثير.

وفي أسماء الشهور اخترنا كتابة الاسم العربي للشهر متبوعاً بالاسم الأعجمي بين قوسين، لأن من بلدان العرب (مع الأسف) من لا يعرف أهلها أسماء الشهور العربية، كأهل مصر وأكثر بلاد الجزيرة العربية وبلدان المغرب العربي كلها. فنكتبها بهذه الطريقة: حزيران (يونيو)، تشرين الثاني (نوفمبر)، إلخ.

وفي الإملاء: كتبنا «إذن» بالنون مطلقاً، عملت أو لم تعمل، وهو مذهب الأكثرين من أهل اللغة، وكان المبرّد يقول: «أشتهي أن أكوي يد من يكتب إذن بالألف، لأنها مثل أن ولن».

وفي بعض الألفاظ التي يجوز فيها الوصل والفصل (مثل: قلّ ما) اخترنا الوصل مطلقاً فكتبناها: «قلّما» أسوةً بأمثالها، فقد اتفقوا على أن يكتبوا بالوصل «مما» (من ما) و«عمّا» (عن ما) و«إلّا» (إن لا)، ومثلها: «إنّما» و«حيثما» و«كيفما»، إلخ.

واخترنا في لفظ «مئة» كتابتها من غير ألف، وهو رأيٌ لكثير من العلماء نقله السيوطي في «همع الهوامع» واعتمده عبد الغني الدقر في «معجم قواعد اللغة العربية»، قال: «وهو أقرب إلى الصواب». وفي عدد المئات (كثلاثمئة وخمسمئة، الخ) اخترنا كتابتها متصلةً غير منفصلة (لا كما يفعل بعضهم فيكتبونها: ثلاث مئة وخمس مئة، إلخ).

وحرصنا -في الطبع- على أن تُثَبَّتْ همزات القطع وتُحَدَفْ همزات الوصل، وهو الصحيح في الكتابة. وحرصنا على عدم الوقوع في الخطأ الذي يقع فيه كثيرٌ من الطابعين إذ يخلطون بين الألف المقصورة والياء المتطرفة في آخر الكلمة فينقطون الاثنتين أو يجردونهما كليهما من النقط، ومثل ذلك بالنسبة للتاء المربوطة والهاء المتطرفة. وحرصنا -أيضاً- على إثبات تنوين الفتح مطلقاً، وأثبتنا تنوين الضم والكسر في كل حالة خشينا فيها الالتباس.

وكذلك أثبتنا علامات الشَّكْلِ الأصلية (الفتحة والضمة والكسرة والسكون) في كل حالة يُخْشَى فيها الالتباس، كالتفريق بين الفعل المبني للمجهول والمبني للمعلوم، وبين فعلي المضارع والأمر، والمثنى وجمع المذكر السالم في حالي النصب والجر، وغير ذلك. وحرصنا على إثبات الشدَّة -خصوصاً- في غير المواضع المدركة سليقةً، إذ هي دلالة على حرف محذوف.

أما علامات الترقيم (من نقطة وفاصلة وعلامة استفهام وغيرها)، فقد أوليناها كل عناية ممكنة، فهي -كما سمّاها بعض الأدباء- «علاماتٌ للتفهم»، بها يتم المعنى ويَصِحُّ المقصود.

وأتبعنا في تحديد العلامات ومواضعها الأصول التي اعتمدها أهل البحث واللغة، وعلى رأسهم العلامة أحمد زكي باشا في كتابه القيم «التقييم وعلاماته في اللغة العربية» مع بعض التصرف بما يوافق الأصول الحديثة المتبعة في عالم النشر في هذا العصر.

وأخيراً، نظرنا في كتابة الحروف الأجنبية التي ليس لأصواتها مقابل في لغتنا العربية، فوجدنا القوم قد اختلفوا فيها اختلافاً كبيراً.

فأما الباء الشديدة (P) فقد كتبوها بـاء بثلاث نقاط، فاعتمدنا لها الباء العادية، إذ ليس من المتيسر في الصف والطباعة توفير بـاء مثلثة، كما أن هذا الرسم غير متفق عليه ولا هو معتمد من جهة علمية ذات شأن كمجمع اللغة العربية. وكذلك فعلنا في الحرف (V) فكتبناه فاء عادية بنقطة واحدة.

أما الحرف الذي أثار أكبر اضطراب فهو الحرف (G) الذي يسمونه «جيماً مصرية». فلأجل نطق أهل مصر الجيم بهذا الصوت اعتمد له كثيرون صورة الجيم، ولكن لو تأملت مخرج هذا الحرف ومخرج الجيم لوجدتهما متباعدين تباعداً بيناً، ولوجدت أن ما يقاربه في لغتنا مخرجاً (في النطق) هي الغين والقاف والكاف. وقد كان هذا الصوت يُكتب -فيما نُقل قديماً عن الفارسية- كافاً فوقها خط، وهي صورة لم يُتفق عليها فماتت واندثرت. وأهل الخليج يكتبون -اليوم- هذا الصوت قافاً، ويكتبه آخرون غيناً، وهو ما اخترناه لما وجدنا من قوة الدليل عليه. وانظر كيف كتبوا أكثر ما عربوا من أسماء البلدان كذلك فقالوا: «البرتغال» و«غانا» و«السنغال» و«بلغاريا» و«غرينتش»... وأمثال ذلك كثير كثير.

وهكذا كتبنا اسم مؤلفة هذه القصص «أغاثا» خلافاً لما كان شائعاً من كتابتها بالجيم. واستثنينا من الكتابة بالعين فقط كلمة «إنكلترا» والنسبة إليها (إنكليز وإنكليزية) لشيوع كتابتها بالكاف بين المتعلمين وطلبة المدارس ولمناسبة المخرج، فأثبتناها بالكاف كما هي هنا.

أما أكثر ما يربك فهو كتابة الحروف الصوتية الطويلة في الأسماء الأجنبية. ففي العربية ثلاثة أصوات طويلة لا غير: الألف والواو والياء، أما في الإنكليزية فتوجد ثمانية أصوات طويلة: الألف المرقّعة (كما في: cat)، والألف المفخّمة (كما في: car)، والألف الممالة (كما في: care)، والواو المشبعة (كما في: boot)، والواو الممالة المرقّعة (كما في: bone)، والواو الممالة المفخّمة (كما في: orange)، والياء المشبعة (كما في: me)، والياء الممالة (كما في: urgent). وقد قربنا -في الرسم العربي- كل أنواع الألف فكتبناها ألفاً، وكل أنواع الواو فكتبناها واواً، ونوعيّ الياء فكتبناها ياءً، ما عدا الألف الممالة التي اجتهدنا في كتابتها ياء (كما في Hastings)، صاحب بوارو الشهير في كثير من الروايات، كتبناه هيسْتِنَغْز).

هذا ما اجتهدنا فيه وذهبنا إليه، آمليْن أن يكون اجتهدنا صحيحاً وأن نكون قد هُدينا فيه إلى الصواب، فيكون العمل الذي نقدمه إلى قرائنا سليماً صحيحاً معافى من العيوب. والله المستعان.

المحرّر

* * *

المؤلفة في سطور

تُعتبر أغانا كريستي أعظمَ مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَنْ كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبِع منها بليونَي (ألفي مليون) نسخة!

وُلدت أغانا كريستي في بلدة توركي بجنوب إنكلترا عام ١٨٩٠، وتوفيت عام ١٩٧٦ وعمرها نحو خمسة وثمانين عاماً. لم تذهب أغانا قطّ إلى المدرسة، بل تلقت تعليمها في البيت على يد أمها التي دفعتها إلى الكتابة وشجعتها عليها في وقت مبكر من حياتها، كما تخبرنا هي نفسها، فحينما كانت نزيلة فراشها تتعافى من مرضٍ ألمّ بها سألتها أمها: "لماذا لا تكتبين قصة؟". أجابت فوراً: "لا أظن أنني قادرة على ذلك"، فقالت أمها: "بلى، تستطيعين؛ جربِي وستَرين".

عندئذ كتبت أغانا كريستي أول رواية لها وعنوانها «ثلوج على الصحراء»، وهي رواية رفضها الناشرون فلم تُنشر قط. أما الرواية الثانية «القضية الغامضة في ستايلز» (التي ظهر فيها بوارو

للمرة الأولى) فقد أدخلتها إلى عالم الكتابة الرحيب، وذلك حين نُشرت -أخيراً- بعدما رفضها ستة من الناشرين، وبعدها حبسها الناشر السابع في أدراجه لمدة ثمانية عشر شهراً متردداً في نشرها!

* * *

عاشت أغانا طفولة سعيدة، إذ كانت صغرى ثلاثة أولاد لأبٍ مرحٍ مُحبٌّ للحياة وأم ذكية تحب الطموح، وقد ظلت -حتى آخر حياتها- تذكر بيتها الذي وُلدت ونشأت فيه بكثير من الشوق والحنين. ولكن هذه السعادة لم تَدُم، فقد توفي والدها وهي في الحادية عشرة مخلفاً لأسرته مشكلات مادية لم تلبث أن أدخلت أغانا في عالم المسؤولية في ظروف صعبة.

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى تطوعت أغانا للعمل في أحد المستشفيات ممرضةً تساعد جرحى الحرب. وفي هذا المستشفى عملت بتحضير الأدوية وتركيبها وتعرفت إلى السموم المختلفة، وهو الأمر الذي كانت له فائدة عظيمة في كتاباتها اللاحقة عن الجرائم.

وفي تلك الفترة، في عام ١٩١٤، تزوجت طياراً شاباً اسمه آرشيالد كريستي، ولكنها انفصلت عنه عام ١٩٢٨ بعد موت والدتها بقليل. ولم تلبث أن تزوجت مرة أخرى عام ١٩٣٠ عالم الآثار الشهير السير ماكس مألوان، وهو الذي أمضت برفقته سنوات من عمرها في المشرق (في العراق وسوريا ومصر) فجاءت أحداث عدد من رواياتها لتقع في هذه البلاد، مثل: «موت فوق النيل» و«لقاء في بغداد» و«جريمة في بلاد الرافدين» و«موعد مع

الموت». وحينما سافرت على متن قطار الشرق السريع خرجت
بواحدة من أشهر رواياتها: «جريمة في قطار الشرق».

تحدثت أغانا كريستي عن نفسها فقالت: «لو سُئلت عن
ميولي لأجبت بأنني أحب كل طعام جيد، وأكره الكحول وكل
ما يدخل في صنعه الكحول. حاولت التدخين فوجدته بغيضاً ولم
أجد ما يغريني بالتعلق به. أحب الأزهار، وأعشق البحر، وأهوى
السفر ولا سيما في بلدان الشرق الأدنى. أحب المسرح وأكره
الأفلام الناطقة إذ أعجز عن متابعتها، وأكره الإذاعة وضوضاءها،
وأبغض المدن وازدحامها».

أما رواياتها فتتميز بدقة حَبْكتها وترابط أحداثها ومنطقية
تسلسلها، تغور فيها في أعماق النفوس البشرية محللةً كوامنها
باحثةً عن دوافعها بعبقريّة فذة وبصيرة نافذة. وهي قصص «نظيفة»
بريئة من إثارة المشاعر والغرائز وليس فيها ما يُخجّل أو يسوء.
وقد حرصت على أن تقول لنا فيها دائماً: «لا بدّ أن ينتصر الخير»،
و«الجريمة لا تفيد».

* * *

أشهر أبطالها هيركيول (هرقل) بوارو، والآنسة ماربل. أما
بوارو فقد «وُلد» عام ١٩٢٠ في «قضية ستايلز الغامضة»، ثم استمرّ
بالظهور في روايات لاحقة لمدة خمس وخمسين سنة. وهو محقق
بلجيكي وشرطي متقاعد أهمّ ما يميّزه ذكائه الخارق (النتائج عن
«الخلايا الرمادية الصغيرة» في دماغه!) وشارباه العظيمان اللذان
ليس لهما مثيل في بريطانيا! وغالباً ما يرافقه في تحقيقاته صاحبه

الشهير، الضابط المتقاعد، الكابتن هيسْتِنْغز، الذي يتميز بطبيعته الطيبة وذكائه المتواضع وحبه الكبير لبوارو.

وأما الأنسة ماربل فهي عانس عجوز ذات ذكاء بالغ وإدراك عجيب، وتتمتع بقدرة فذة على الملاحظة والتحليل وفهم عميق للنفس البشرية بحيث تكشف أسرار الجرائم مستفيدةً من شبكة واسعة من الأصدقاء والمعارف والعلاقات الاجتماعية الناجحة.

* * *

كتبت أغانا كريستي من روايات وقصص الجريمة سبعا وستين رواية طويلة وعشرات من القصص القصيرة التي نُشرت في ثلاث عشرة مجموعة، وبذلك يكون عدد ما نُشر لها من الأعمال البوليسية ثمانين كتاباً. كما كتبت ستَّ روايات طويلة رومنسية باسم مستعار هو «ماري ويستماكوت»، وست عشرة مسرحية أشهرها «مصيصة الفئران» التي تُعتبر أطول المسرحيات عرضاً في التاريخ، إذ ما زالت تُعرض في لندن (دون انقطاع تقريباً) منذ عام ١٩٥٢.

أما سيرة حياتها التي كتبها قبيل وفاتها فقد نُشرت بعد موتها بعام واحد، وسوف نقدّم ترجمتها إلى قرائنا (مع كتاب ذكرياتها الآخر «أخبريني كيف تعيشين» الذي نشرته عام ١٩٤٦ وسردت فيه ذكرياتها عن رحلاتها مع زوجها) حيث ستكون هذه هي المرة الأولى التي يُترجم فيها هذان الكتابان إلى اللغة العربية.

* * *

إِزْيِيمُ الْحِذَاءِ

الفصل الأول

لم يكن السيد مورلي في مزاج جيّد عند الإفطار. تدمر من النقانق وتساءل عن السبب الذي جعل القهوة بلون الطين السائل، وقال إن الخبز والكعك المقدم على الطاولة بعضه أسوأ من بعض.

كان السيد مورلي رجلاً ضئيل الجسم عريض الفكين بارز الذقن، أما أخته التي كانت ترعى البيت فكانت ذات جسم ضخم كأنها رياضية تحمل الأثقال. نظرت إلى أخيها نظرة تأمل وسألته إن كان ماء الحمام قد برد من جديد.

أجابها السيد مورلي بامتعاض قائلاً إن الماء لم يبرد، ثم ألقى نظرة على الجريدة وقال إن الحكومة تبدو وكأنها في حالة انعدام الكفاءة وصولاً إلى حالة البلاهة الإيجابية!

ردّت الأنسة مورلي بصوت خافت عميق قائلة إن هذا الحال مُخزٍ! وكونها امرأة فقد كانت تجد دائماً أن كل حكومة تتولى السلطة هي حكومة مفيدة، لذلك أصرت على أخيها ليشرح لها لماذا يرى سياسة الحكومة الحالية غير حاسمة وغيبية وحمقاء وانتحارية!

عندما شرح السيد مورلي آراءه بشأن هذه المسائل تناول

فنجاناً آخر من القهوة التي تدمر منها وأزاح عن كاهله سبب همومه وأحزانه. قال: هؤلاء الفتيات كلهن سواء ولا يوثق فيهن، أنانيات ولا يُعتمد عليهنّ بأي شكل من الأشكال.

سألته الآنسة مورلي من باب الفضول: غلاديس؟

- لقد تلقيت منها رسالة الآن. تقول إن عمته أصيبت بسكتة وإنها اضطرت للذهاب إلى سومرست.

قالت الآنسة مورلي: إنه أمر مزعج يا عزيزي، لكنه خارج عن إرادة الفتاة.

هز السيد مورلي رأسه باكتئاب وقال: كيف لي أن أعرف أن عمته أصيبت حقاً بسكتة؟ كيف أعرف أن هذا ليس عملاً مدبراً بين الفتاة وذلك الشاب الخليع الذي ترافقه؟ إنه عديم الأخلاق ولم أر مثله من قبل! ربما خططا ليخرجا معاً هذا اليوم.

- لا يا عزيزي، لا أظن أن غلاديس تفعل ذلك. لقد وجدت فيها دوماً فتاة مستقيمة.

- نعم، نعم.

- كنت تقول إنها فتاة ذكية حريصة على عملها.

- نعم، نعم يا جورجينا؛ كان الحال كذلك قبل أن يظهر هذا الشاب الخليع. لقد تغيرت كثيراً في الفترة الأخيرة، تغيرت تماماً. باتت شاردة الذهن قلقة عصبية.

- الفتيات يقعن في الحب يا هنري، لا يمكن لأحد أن يمنع هذا الأمر.

ردّ عليها السيد مورلي بحدّة: لا ينبغي لها أن تدع مثل هذا الأمر يؤثّر على عملها وكفاءتها كمساعدة لطبيب، كما أنني مشغول لأبعد حد في هذا اليوم بالذات ولديّ كثير من المرضى المهمّين. إنه أمر يبعث على الضجر!

- لا بد أنه يثير الحنق يا هنري. على فكرة، كيف يعمل الولد الجديد؟

قال هنري مورلي عابساً: إنه أسوأ من عمل عندي! لا يستطيع كتابة اسم واحد بشكل صحيح، كما أنه فظ في معاملته مع المرضى. إذا لم يتحسن فسوف أطرده وأتي بأخر مكانه. لا أدري ما فائدة التعليم عندنا هذه الأيام! يبدو أنه يخرج مجموعة من الحمقى الذين لا يستطيعون فهم شيء مما يقوله المرء، ناهيك عن تذكّره.

نظر إلى ساعته وقال: لا بد أن أذهب. وقتي هذا الصباح مليء بالمواعيد وتلك المرأة، سينسبري سيل، أصيبت بألم مفاجئ في أسنانها. اقترحتُ عليها أن تزور رايلي لكنها لم تقبل.

قالت جورجينا من قبيل الإخلاص لأخيها: بالطبع لن تقبل.

- إن رايلي طبيب قدير، قدير فعلاً، وهو يحمل شهادات عليا ويتبع في عمله أحدث الأساليب.

- لكن يديه ترتعشان... لعله يشرب.

ضحك أخوها وعاد إليه مزاجه الهادئ. قال: سأعود لتناول الشطائر في الواحدة والنصف كالعادة.

* * *

كان السيد أمبيريو تيس ينكش أسنانه بالعود ويبتسم لنفسه في فندق سافوي، كل شيء كان يسير على ما يرام.

كان قد نجح في عمله كالمعتاد، وكان يفكر في تلك الكلمات اللطيفة القليلة التي قالها لتلك المرأة الغبية وكيف لقي مقابلها خير جزاء. آه، حسناً، اصنع خيراً وألقه في البحر! كان دائماً كريماً طيب القلب، وربما استطاع أن يكون أكثر كرمًا في المستقبل. تراءت أمامه مشاهد لأعمال خيرية: ديمتري الصغير، وذاك الطيب المكافح في مطعمه الصغير... أي مفاجأة سارة بالنسبة لهما! نخز العود لسانه فجفل السيد أمبيريو تيس، وتلاشت الرؤى الوردية للمستقبل وحلت محلها مخاوف المستقبل القريب. تحسس لسانه بلطف، ثم أخرج من جيبه دفتر الملاحظات وقرأ: "الساعة الثانية عشرة في ٥٨ شارع الملكة شارلوت".

حاول أن يستعيد مزاجه السابق المرح ولكن دون جدوى، فقد انكمش عالمه كله ليتلخص في ست كلمات لا غير: "٥٨ شارع الملكة شارلوت، الساعة الثانية عشرة".

* * *

في فندق غلينغوري كورت في جنوب كينسنغتن انتهى وقت الإفطار، وفي قاعة الاستراحة كانت الأنسة سينسبري سليل جالسة تتحدث مع السيدة بوليثو. كانتا تجلسان إلى طاولتين متجاورتين في قاعة الطعام، وقد نشأت بينهما صداقة بعد يوم واحد من وصول الأنسة سينسبري سليل إلى الفندق قبل أسبوع.

قالت الأنسة سينسبري سليل: لقد زال الألم يا عزيزتي!

لا يوجد أي ألم. ربما الأفضل أن أتصل...

قاطعتها السيدة بوليثو: لا تتحامي يا عزيزتي. اذهبي إلى طبيب الأسنان وتخلصي من الألم نهائياً.

كانت السيدة بوليثو امرأة طويلة القامة مسيطرة ذات صوت خفيض، أما الأنسة سينسبري سيل فكانت امرأة في الأربعين من عمرها تقريباً ذات شعر مصبوغ وملفوف إلى الأعلى بلا ترتيب، وقد ارتدت ملابس لا شكل لها كملا بس الفنانين، وكانت نظارتها تقع دوماً على أنفها، وكانت ثرثرة من الطراز الأول.

قالت بحزن: ولكنه حقاً لم يعد يؤلمني على الإطلاق.

- هراء. لقد أخبرتني أنك لم تنامي الليلة الماضية بسببه.

- بلى، لم أُنم فعلاً، ولكن ربما كان العصب قد مات الآن.

قالت السيدة بوليثو حازمة: هذا سبب أكثر وجاهة للذهاب إلى طبيب الأسنان. إننا نرغب جميعاً بتأجيل هذا الأمر، ولكنه جبن. الأفضل أن تحزمي أمرك وترتاحي منه!

تحركت أشباح كلمات على شفاه الأنسة سينسبري سيل. أتراها كانت ستهمهم متمردة: صحيح، ولكنه ليس ضررك أنت؟

ولكن كل ما قالته كان: أظن أنك على حق، كما أن السيد مورلي طبيب ماهر حذر ولا يؤذي أحداً على الإطلاق.

* * *

انتهى اجتماع مجلس الإدارة ومرّ بهدوء. كان التقرير جيداً

ولم تُطرح أي ملاحظة سلبية، ومع ذلك شعر السيد رودرشتاين الحساس بأن في سلوك الرئيس شيئاً ما، مسحةً بسيطة جداً من الاعتراض. كان في بعض ملاحظاته شيء من الإيجاز وشيء من المرارة مما لم تكن مجريات الاجتماع تقتضيه.

ربما كان همماً ذاتياً داخلياً؟ لكن رودرشتاين لم يستطع الربط بين أليستير بلانت والهموم الذاتية، فهو لم يكن رجلاً عاطفياً. كان طبيعياً جداً، إنكليزياً جداً من حيث الجوهر.

كانت لديه بالطبع مشكلة الكبد. كان كبد السيد رودرشتاين يسبب له بعض المشكلات بين وقت لآخر، لكنه لم يكن يعلم أبداً أن أليستير يشكو من كبدته. كانت صحة أليستير سليمة كدماغه وخبرته المالية. لم تكن صحته من ذلك الطراز المتدفق المزعج أحياناً، بل مجرد صحة هادئة معافاة. ومع ذلك كان في الأمر شيء ما، ففي مرة أو مرتين تحسس الرئيس وجهه بيديه، وكان يجلس ويده تسند ذقنه. لم يكن ذلك من عادته وطبعه، كما بدا أكثر من مرة شارداً الدهن. نعم، شارداً الدهن.

خرجوا من قاعة الاجتماعات وهبطوا الدرج. قال رودرشتاين: هل أوصلك بسيارتني؟

ابتسم أليستير بلانت وهز رأسه قائلاً: سيارتي تنتظرني. ثم نظر إلى ساعته وقال: "لن أعود إلى المدينة". وسكت قليلاً ثم قال: الواقع أن لديّ موعداً مع طبيب الأسنان. لقد حُلّ اللغز!

* * *

ترجل هيركيول بوارو من سيارة الأجرة ودفع للسائق أجرته
وقرع جرس المبنى رقم ٥٨ في شارع الملكة شارلوت. بعد لحظات
من الانتظار فتح له الباب خادمٌ يرتدي زيّ البوابين. كان النمش
يغطي وجهه وكان أحمر الشعر وتبدو عليه علامات الجد.

سأله هيركيول بوارو: هل السيد مورلي هنا؟

كان يأمل في قرارة نفسه بأن يكون السيد مورلي قد استدعي
خارج عيادته أو أن يكون متوَعكاً ولا يستطيع رؤية المرضى اليوم،
لكن تلك الآمال ذهبت أدراج الرياح، فقد تراجع الخادم إلى الورا
إشارة لهيركيول بوارو لكي يدخل.

دخل بوارو وأغلق وراءه البابَ بهدوءٍ من أسلم زمامه لقدِرٍ
محتوم، وسأله الخادم: الاسم من فضلك؟

قدم له بوارو الاسم، ففتح الصبي باباً من الناحية اليمنى من
الصالة ليدخل بوارو قاعة الانتظار.

كانت الغرفة مؤثثة بأثاث يدل على ذوق رفيع بسيط رآه
بوارو -رغم ذلك- كئيباً لسبب ما. كانت في وسط الغرفة طاولة
نظيفة وُضعت عليها أوراق ومجلات بطريقة مرتبة، وفي جانب
الغرفة منضدة عليها شمعدانان وطبق مزخرف، وعلى رف المدفأة
ساعة برونزية ومزهريتان برونزيتان. كانت النوافذ مغطاة بستائر من
المخمل الأزرق، أما الكراسي فكانت منجّدة بقماش أحمر عليه
رسومات طيور وأزهار.

جلس على أحد الكراسي رجل ذو هيئة عسكرية وشارب كَثَّ

وبشرة صفراء، وقد نظر إلى بوارو كمن ينظر إلى حشرة ضارة، وبدا وكأنه يتمنى لو أنه كان يحمل معه بدلاً من مسدسه العسكري عبوة من مبيد الحشرات. أما بوارو فقد قال في نفسه وهو يرمقه بنظرات ازدراء: الحقيقة أن من الإنكليز رجالاً على درجة من السخف والبشاعة بحيث يتمنى المرء لو أنهم ماتوا عند ولادتهم تخلصاً من هذا النكد.

بعد أن حملق الرجل العسكري في بوارو طويلاً سحب صحيفة «التايمز» عن الطاولة وأدار كرسيه حتى يتفادى النظر إلى بوارو وجلس يقرأ فيها. وأخذ بوارو مجلة «بتش» الهزلية وتصفحها صفحة صفحة، إلا أنه لم يجد فيها ما يستحق الضحك.

دخل الخادم وقال: الكولونيل آرو بامبي؟

قام الرجل العسكري وتبع الخادم، أما بوارو فكان يفكر في احتمالات وجود اسم كهذا الاسم حقيقةً عندما فُتح الباب ليدخل منه شاب في الثلاثين من عمره تقريباً. وبينما وقف الشاب بجانب الطاولة يتصفح أغلفة المجلات بقلق نظر بوارو إليه بطرف عينه. بدا شاباً كريهاً خطيراً، وربما يكون مجرمًا قاتلاً... هكذا فكّر بوارو! على أي حال بدا قاتلاً أكثر من أي قاتل آخر اعتقله بوارو خلال حياته المهنية.

فتح الخادم الباب وقال: السيد بيرو.

نهض بوارو مباشرة وقد خمّن أنه هو المقصود. قاده الغلام إلى آخر الصالة، ثم إلى مصعد صغير انتقل بهما إلى الطابق الثاني، ومن هناك اصطحبه في ممر طويل وفتح باباً يؤدي إلى حجرة انتظار

صغيرة، ثم طرق باباً آخر وفتحه دون أن ينتظر إجابة وتراجع لكي يدخل بوارو.

دخل بوارو وهو يسمع صوت الماء الجاري، وتقدم ليري السيد مورلي يغسل يديه فوق مغسلة وراء الباب.

* * *

في حياة أعظم الرجال لحظاتٌ مخزية. وقد قيل إنه لا يوجد بطل في عين خادمه، ويمكن أن يضاف إلى هذا القول أن قلة من الرجال فقط يكونون أبطالاً - حتى أمام أنفسهم - في حضرة أطباء الأسنان.

كان هيركيول بوارو يدرك هذه الحقيقة إدراكاً فظيماً. كان قد اعتاد على الثقة بنفسه، كان هو هيركيول بوارو المتفوق على الرجال الآخرين في كثير من الأمور، لكنه في تلك اللحظة عجز عن الشعور بالتفوق في أي شيء، فقد هبطت معنوياته إلى الحضيض وبات مجرد رجل عادي جبان يخاف من كرسي طبيب الأسنان!

كان السيد مورلي قد انتهى من غسل يديه وبدأ يتحدث بأسلوبه الطبي المشجع: الجو اليوم ليس دافئاً كما يجب أن يكون عليه في هذا الوقت من السنة، أليس كذلك؟

ثم أدار الحديث بحنكة وصولاً إلى النقطة الحرجة... الكرسي! بدأ يحرك مسند الرأس إلى أعلى وإلى أسفل، واستنشق هيركيول بوارو نفساً عميقاً ثم ارتقى الكرسي وأرخص رأسه وسلّمه لأنامل السيد مورلي الذي قال بابتهاج فظيع: هكذا. أهذا مريح

تماماً؟ متأكد؟

ردّ عليه بوارو بنبرة كثيفة قائلاً إن الوضع مريح تماماً، فقرب السيد مورلي منه صينية الأدوات وأخذ مرآته الصغيرة وأمسك بإحدى الأدوات واستعد للبدء بالعمل.

تشبث بوارو بذراعي الكرسي وأغلق عينيه وفتح فمه، وسأله السيد مورلي: هل تشعر بمشكلة محددة؟

أجاب بوارو عن ذلك السؤال محاولاً إخراج الحروف من الفم المفتوح، ولكن الطبيب فهم منه عموماً أنه ليس في أضراره مشكلة معينة. كانت تلك -في الحقيقة- زيارة الصيانة نصف السنوية التي يجريها بوارو لأسنانه بدافع من تعلقه بالنظام والترتيب، وبالطبع يمكن أن لا يصنع الطبيب أي شيء، وربما تجاهل السيد مورلي ذلك الضرس الثاني من الخلف الذي تأتي منه تلك النخزات. قد لا يلاحظه، رغم أن هذا الاحتمال بدا مستبعداً لأن السيد مورلي كان طبيب أسنان بارعاً جداً في عمله.

انتقل السيد مورلي من ضرس إلى آخر ببطء، يطرق كل ضرس بالمجسّ ويتحسس ويطلق بعض التعليقات أثناء ذلك: يبدو أن هذه الحشوة تأكلت قليلاً، ولكن لا مشكلة... اللثة جيدة لحسن الحظ.

ثم سكت عندما وصل إلى ضرس اشتبه به. جسّه ثانيةً حتى تأكد من عدم وجود مشكلة، ثم انتقل إلى الأسنان السفلية. واحد، اثنان، على الثالث؟ لا... وفكر بوارو في نفسه مرتبكاً: لقد رأى الكلب الأرنب!

مضى الطبيب قائلاً: مشكلة صغيرة هنا. ألا يؤلمك هذا
الضرس؟ كم أنا مدهوش!

ثم أكمل المجس عمله. وأخيراً تراجع السيد مورلي إلى
الوراء وبدت عليه علامات الرضا. قال: لا شيء يثير القلق؛ مجرد
حشوتين متآكلتين قليلاً وبعض آثار من تسوس في هذا الضرس
العلوي. أظن أن باستطاعتنا إصلاح ذلك كله بسرعة.

حرك أحد المفاتيح فخرج صوت رنين وطنين. أمسك السيد
مورلي الحفارة وثبت فيها إبرةً بحرص واهتمام، ثم قال باختصار:
"أرشدني". وبدأ عمله الفطيع.

لم يضطر بوارو لتنبية الطبيب أو لرفع يده ولم يئنّ ولم يصرخ،
لأن السيد مورلي كان يوقف المثقاب في اللحظة المناسبة ويطلب
منه أن ينظف فمه ويضع قطعة من الشاش على الضرس، ثم يختار
إبرة جديدة ويواصل عمله. كانت محنة الحفارة تتمثل في الرعب
أكثر مما تتمثل في الألم.

وحالما انتهى السيد مورلي من الحفر وبدأ بإعداد الحشوة
بدأ حديثه ثانية: عليّ أن أصنع كل شيء بنفسني هذا الصباح، فقد
ذهبت الآنسة نيفيل... هل تذكر الآنسة نيفيل؟

أوماً بوارو بالإيجاب، ولم يكن صادقاً بالطبع.

- استدعيْتُ إلى قريتها بسبب قربة لها. أمور كهذه لا تحدث
إلا في مثل هذا اليوم المزدحم! إنني متأخر في عملي هذا الصباح،
فالمريض الذي قبلك جاء متأخراً. إنه أمر يثير أعصاب المرء ويفسد

عليه صباحه كله! ثم عليّ أن أعالج مريضة طارئة لأنها تتألم بشدّة. أنا أترك دائماً ربع ساعة في الصباح لمثل هذه الحالات الطارئة، رغم أنها تزيدني ارتباكاً.

تأمل السيد مورلي مدفع الموتر الصغير في يده وهو ينزل عن كرسيه، ثم تابع حديثه: سأخبرك شيئاً كنت ألاحظه دائماً يا سيد بوارو. الناس الكبار، الشخصيات المهمة، يأتون دائماً في الموعد المحدد ولا يجعلونك تنتظرهم أبداً. الوزراء على سبيل المثال... إنهم دقيقون جداً في مواعيدهم، وكبار رجال المدينة مثلهم أيضاً. والآن هذا الصباح سيأتيني رجل مهم جداً... أليستير بلانت.

نطق السيد مورلي بالاسم ببهجة المنتصر، وغمغم بوارو بحشجة من كان يمنعه من النطق ما حُشر في فمه من لفائف القطن، إضافة إلى تلك الأنوبة الزجاجية التي تُقرقر تحت لسانه.

أليستير بلانت، تلك هي الأسماء التي تخيف في هذه الأيام! لم تعد ألقاب الدوق أو اللورد أو حتى رؤساء الوزارات هي ما يهم، بل مجرد اسم أليستير بلانت دون أي إضافات. رجل لا يكاد يكون معروفاً للعامة، لا يكاد اسمه يظهر إلا في مناسبات قليلة وفي زوايا صغيرة بعيدة عن الأنظار في الصحف. إنه ليس بالرجل الاستعراضي الشهير؛ مجرد رجل إنكليزي هادئ لا شيء يميزه كان يرأس أكبر مؤسسة مصرفية في إنكلترا. رجل واسع الثروة يعيش حياة هادئة مغمورة دون أن يظهر على المسرح العام أو يلقي الخطابات، ومع ذلك فهو ذو نفوذ عظيم.

حافظ صوت السيد مورلي على نبرة توقيير وهو ينحني فوق
بوارو لوضع الحشوة: دائماً يأتي في موعده تماماً، وغالباً ما كان
يطلب من سائقه العودة بالسيارة ثم يعود إلى مكتبه سيراً على
الأقدام. إنه رجل لطيف هادئ متواضع، مولع بلعب الغولف
ومغرم بحديقته، لا يمكن أن يتبادر إلى ذهنك أنه ذلك الرجل
الذي يستطيع شراء نصف أوروبا بماله! إنه مثلي ومثلك تماماً.

استاء بوارو لهذا الجمع العفوي بينه وبين الطبيب. صحيح
أن السيد مورلي كان طبيب أسنان جيداً، ولكن يوجد أطباء أسنان
آخرون جيدون غيره في لندن، أما هيركيول بوارو فلا يوجد منه
إلا واحد فقط!

قال السيد مورلي: "تمضمض من فضلك". ثم أكمل حديثه
بعد أن شرع في معالجة الضرر الثاني: إن حالته تردّ على رجال
كهتلر وموسوليني ومن سار على منهجهم. نحن لا نُحدث ضجة
أو زوبعة عندنا في إنكلترا، انظر إلى مدى الديمقراطية التي تسمح
بظهور الإبداع الفردي. إن رجلاً فرنسياً مثلك معتاد بالطبع على
مثل هذه الأمور.

- آه... أنا لست... فرهسياً... أنا بلييكي.

قال السيد مورلي بحزم: اهدأ، اهدأ؛ لن تستطيع الكلام
وفمك مفتوح! يجب تجفيف حفرة السن تماماً.

نفخ هواء ساخناً في فجوة السن دون رحمة وأكمل يقول:
لم أعرف أنك بلجيكي، هذا مثير جداً. أنا لا أتذكر أسماء ولكن
من الملفت للنظر أنني لا أنسى وجهاً أبداً. على سبيل المثال،

أحد المرضى عندي بالأمس... كنت قد رأيته من قبل وعندما ذُكر لي اسمه لم أتذكره أبداً، لكنني قلت في نفسي على الفور: "أين قابلتك من قبل؟ لا بد أنني رأيته ذات يوم". إلى الآن لم أتذكر أين رأيته، لكنني سأتذكر، أنا واثق أنني سأفعل... تمضمض مرة أخرى من فضلك.

انتهت المضمضة، فأمعن السيد مورلي النظر في فم مريضه ثم قال: حسناً، أظن أن الأمور تبدو جيدة الآن. أغلق فمك... بهدوء. هل أنت مرتاح تماماً؟ ألا تشعر بالحشوة على الإطلاق؟ افتح ثانية من فضلك، نعم، يبدو الحال جيداً.

نزل بوارو عن كرسيه وقد أصبح رجلاً حراً.

قال الطبيب: وداعاً يا سيد بوارو. أرجو أن لا تكون قد كشفت أي مجرم في بيتي؟

قال بوارو مبتسماً: قبل أن أدخل لهذه الغرفة بدا كل الناس في عيني مجرمين، أما الآن فقد اختلف الحال!

- آه، نعم، فرق كبير بين «قبل» و«بعد». ومع ذلك فإننا -معشر أطباء الأسنان- لم نعد بتلك الفضاة التي كنا عليها من قبل! هل أقرع الجرس ليطلبوا لك المصعد؟
- لا، لا، سأنزل مشياً.

- كما تشاء، المصعد بجانب الدرج.

سمع بوارو صوت صنبور المياه بعدما خرج وأغلق الباب وراءه. ثم هبط الدرجات، وعندما وصل إلى المنعطف الأخير من

الدرج رأى الكولونيل الإنكلو-هندي وهو خارج. ورأى بوارو أنه لم يكن رجلاً سيئ المنظر، بل ربما كان صياداً ماهراً. إنه معلم نموذجي من معالم الإمبراطورية.

ذهب إلى قاعة الانتظار ليأخذ قبعته وعصاه اللتين تركهما هناك. كان الشاب القلق المتململ ما زال موجوداً هناك مما أدهش بوارو قليلاً، وكان في القاعة مريض آخر، رجل يقرأ مجلة.

فحص بوارو الشاب بمزاجه الجديد اللطيف الذي خرج به من غرفة الطبيب: ما زال يبدو في نظره شديد القسوة وكأنه يريد ارتكاب جريمة قتل، لكنه ليس قاتلاً حقيقياً، أو هكذا شعر بوارو. لا شك أن هذا الشاب سينزل الدرج عمّا قريب وقد انتهت محنته، سعيداً مبتسماً لا يتمنى الضرر لأحد.

دخل الخادم وقال بحزم ووضوح: السيد بلانت.

وضع الرجل الجالس المجلة على الطاولة ونهض. كان متوسط الطول متوسط العمر، لا هو بالسمين ولا بالنحيل، حسن الهيئة هادئاً. وخرج على إثر الخادم. إنه واحد من أغنى الرجال في إنكلترا وأكثرهم نفوذاً، ومع ذلك كان عليه الذهاب إلى طبيب الأسنان كأى شخص آخر، ولا شك أنه شعر بنفس الخشية التي يشعر بها كل الناس إزاء طبيب الأسنان.

تناول هيركيول بوارو قبعته وعصاه وهذه الأفكار تجول في باله، ثم ذهب إلى الباب الآخر. ألقى نظرة إلى الوراء فأحس بأن ذلك الشاب يعاني من ألم فظيع في أسنانه دون شك، وفي الصلاة توقف بوارو أمام المرأة ليعدل شاربه الذي أفسدته حركات السيد

مورلي. بعدما انتهى من تمشيط شاربه شعر بالرضا. في تلك اللحظة وصل المصعد نازلاً من الأعلى وخرج منه الخادم يصفر بصوت صახب، وعندما رأى بوارو سكت فوراً وجاء ليفتح له الباب الخارجي.

وصلت سيارة أجرة ووقفت أمام المنزل، وبرزت منها قدمٌ نظر إليها بوارو باهتمام: الجورب من نوعية جيدة، ولكن الحذاء لم يعجبه، كان جلدياً جديداً ذا إبزيم معدني كبير لامع. وهزّ رأسه أسفاً. إنه غير أنيق، ذوق سوقيّ جداً!

خرجت السيدة من سيارة الأجرة، لكن قدمها الأخرى علقت بالباب وهي تخرج فانتزع الإبزيم منها ووقع على الرصيف محدثاً رنيناً، فقفز بوارو بشهامة ورفع عن الأرض وأعاد له لصاحبه بانحناء خفيفة.

إنها أقرب للخمسين منها للأربعين، تضع على عينيها نظارة، ولها شعرٌ أصفر رمادي غير مصفّف، وثيابها غير مناسبة، من تلك الأقمشة الخضراء التي تقبض النفس. شكرته فسقطت نظارتها على الأرض، ثم أسقطت حقيبتها أيضاً، فرفعهما بوارو وقد فارقت شهامته إلا بقية من أدب وأعطاهما لها، وانصرفت صاعدةً درجات المنزل رقم ٥٨ في شارع الملك شارلوت.

قطع بوارو التعليقات المستاءة لسائق السيارة إزاء هوان الإكرامية التي حصل عليها: أنت فارغ؟

قال سائق السيارة عابساً: نعم، فارغ.

قال بوارو: وأنا كذلك... فارغ القلب من الهم!

رأى بوارو نظرات الارتياب على وجه سائق سيارة الأجرة
فسارع إلى القول: لا يا صديقي، لست ثملاً. كل ما في الأمر أنني
كنت عند طبيب الأسنان، ولن يلزمي الذهاب إليه مرة أخرى إلا
بعد ستة أشهر، وهي فكرة جميلة تسعد المرء.

* * *

الفصل الثاني

كانت الساعة الثالثة إلا ربعاً عندما رنّ جرس الهاتف.

كان بوارو جالساً على كرسي هزاز يهضم -سعيداً- وجبة غداء فاخرة. لم يتحرك عندما رنّ الهاتف بل انتظر جورج الوفي حتى يأتي ويرد على المكالمة، وعندما سمع جورج يقول "لحظة واحدة من فضلك يا سيدي" سأله: من هذا؟

- إنه رئيس المفتشين جاب يا سيدي.

- آها؟

رفع بوارو السماعة وقربها إلى أذنه قائلاً: أهلاً يا صديقي. كيف تسير الأمور؟

- أهذا أنت يا بوارو؟

- بالطبع.

- سمعت أنك ذهبت لزيارة طبيب الأسنان هذا الصباح. هل هذا صحيح؟

همس بوارو: سكتلنديارد تعرف كل شيء!

- كنتَ عند طيب اسمه مورلي، في المنزل رقم ٥٨ بشارع الملكة شارلوت؟

تغيرت نبرة صوت بوارو: نعم. لماذا؟

- هل كانت زيارة حقيقية؟ أقصد: هل ذهبت لتحقق معه أو لشيء من هذا القبيل؟

- أبداً، بالتأكيد. لقد حشالي ثلاثة أضراس إن كنت مهتماً بمعرفة التفاصيل.

- كيف رأيته؟ هل كان يتصرف كالمعتاد؟

- أعتقد ذلك، نعم. لماذا؟

كان صوت جاب فظاً، قال: لأنه وبعد مغادرتك بقليل... أطلق النار على نفسه!

- ماذا؟! -

قال جاب بحدّة: هل يدهشك هذا الأمر؟

- بصراحة؟ نعم.

- أنا لستُ راضياً عنه وأحسّ أن وراءه ما وراءه. أودُّ الحديث معك، ولا أظنك تمانع في المجيء؟

- أين أنت؟

- في العيادة بشارع الملكة شارلوت.

- سأتيك على الفور.

* * *

فتح شرطيُّ باب المنزل رقم ٥٨ ، وقال باحترام: السيد
بوارو؟

- نعم ، أنا.

- رئيس المفتشين في الطابق العلوي... الطابق الثاني ، هل
تعرف كيف تصل إليه؟

- كنت هناك هذا الصباح.

كان في الغرفة ثلاثة رجال. عندما دخل بوارو رفع جاب
بصره وقال: أنا سعيد لرؤيتك يا بوارو. كُنَّا على وشك رفع الجثة،
هل تريد رؤيته أولاً؟

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمل
أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت
لك قراءة ممتعة وعرفتك بالرواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية
(وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة،
ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو
احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

www.al-ajyal.com